فاعلية الذات بين المحتوى المعلوماتي والعمليات التنفيذية الميتامعرفية

الأستاذة: ليلى دامخي

جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

يتناول الموضوع المطروح متغير فاعلية الذات، وتمركزها في العمليات الميتامعرفية من حيث هى مكون وجدانى ميتامعرفى. وقد خلصنا من خلال تحليلنا للموضوع إلى توسط فاعلية الذات عمليات المعرفة الميتامعرفية، أو ما يسمى بـ "المحتوى المعلوماتى الميتامعرفي"، وعمليات الضبط التنفيذي للمهمة. وذلك لأن معتقدات الفاعلية الذاتية المرتفعة تتوقف على وعى بالذات المعرفية، ومتطلبات المهمة، والاستراتيجية التى تدعم الفاعلية الذاتية كحس ميتامعرفي وجدانى. وفي المقابل فإن كفاءة التخطيط، والمراقبة، والتقويم الذاتيين كعمليات للضبط التنفيذي، وإن كان يحكمها حس معلوماتى ميتامعرفي، إلا أنها تتأثر بمعتقدات عن فاعلية الذات، والقدرات، أي بفاعلية ذاتية عالية لدى المتعلم.

Abstract :

The topic being investigated deals with the self-efficacy variable as a metacognitive affective component and its concentration in the metacognitive processes. From our analysis of the subject we reach to the fact that the self-efficacy mediates both the metacognitive processes - the so called metacognitive knowledge content- and the executive control processes of the task. This because the highly beliefs of the self-efficacy depends on self-efficacy awareness, the requirement of task and the strategy which supports self-efficacy as metacognitive emotional awareness. On the other hand, the planning competence, monitoring and self-evaluation as the processes of executive control despite being controlled by metacognitive knowledge yet are influenced by beliefs of self-efficacy and the abilities. It means on a learner's high self-efficacy.

مقدمة:

برز تعليم التفكير، كإحدى المداخل الحديثة في التدريس منبثقا من أعمال (جون بياجي، John *Piaget*) المعرفية. وهو المنحى المصنف ضمن ما يسمى بالتعلم الاستراتيجي، الذي يتيح للمتعلم استقلالية معرفية وحضور للوعي الذاتي فيما يتعلم. ولاشك أن الوعي بالذات كان محل اهتمام (جون فلافل، John Flavell)، بداية في حديثه عن ما يسمى بالتفكير الميتامعرفي "Metacognitive Thinking"، كأرقى مستويات التفكير واعقدها، له من الأثر الايجابي على كفاءة التعلم ما يتجاوز حل المشكلات ومعالجتها. وبتفكيك محتوى هذا التفكير، نجد أن الحس المعلوماتي الميتامعرفي لا يقتصر على الوعي بالقدرات الذاتية، ولكن تتسع دائرة هذا الوعي لتشمل الوعي بالإستراتيجية.

بيد أن بعض الدارسين للتفكير الميتامعرفي، وقفوا على جانب وجداني يدعم الحس الميتامعرفي، تشكل ضمنه فاعلية الذات جزءا مهما. على اعتبار أنها تحمل تصورات عن الذات المعرفية التي تدعم الاعتقاد بفعالية الأداء. ويبدو أن منطلقات هذه التوليفة مسلمة معرفية مؤداها أن العمليات المعرفية و الوجدانية متداخلة، بشكل يصعب الفصل بينها في المعالجات المعرفية لمواقف التعلم.

وانطلاقا من هذه الرؤى، يأتي هذا الطرح متوخيا بحث فاعلية الذات، وتمركزها كحس وجداني ميتامعرفي، في نشاطها ضمن عمليات المعرفة الميتامعرفية والضبط الميتامعرفي.

1- مفهوم التفكير الميتامعرفي :

برز مفهوم " الميتامعرفية " (Métacognition) لأول مرة في أبحاث كل من (جيمس، James) و (جون ديوي، Dewey)، في حديثهما عن التأمل الشعوري للفرد خلال عملية التفكير والتعلم. غير أن ظهوره كمفهوم داخل مجال علم النفس المعرفي فقد كان (لجون فلافل، John Flavell) فضل السبق في بحث هذا المفهوم منذ أوائل السبعينات من (القرن 20)، من خلال تحديده له في ثلاث

مناحي للتفكير، إذ اعتبره على انه " تفكير الفرد في عملياته السيكولوجية الأخرى كاللغة والإدراك والذاكرة وعن عمليات الآخرين أيضا[1].

ولم يتوقف بحث فلافل للتفكير الميتامعرفي عند المستوى المعرفي، بل أضاف إلى الأدب التربوي المتعلق بالميتامعرفية بعدا وجدانيا، في إشارة إلى الانفعالات التي تصاحب العمليات المعرفية، وقدرة الشخص على رصدها، و قيادتها، وحاول بذلك إعطاء مفهوم أكثر عمقا للميتامعرفية على أنها " كل الخبرات المعرفية الشعورية أو الوجدانية التي تصاحب و تنطبق على العمل العقلي.[2]

فوعي الفرد المعرفي بمواطن القوة في قدراته، والتي يمكن أن يوظفها في معالجة مهمات التعلم أفكار يصعب فصلها عن الانفعالات المصاحبة لتلك العمليات، إذ أنها تعد في نظر الكثيرين احد محركات الدافعية والاتجاه نحو الإقبال على مهمات التعلم.

وقد اهتم بولر (Bowler ,2007) بالبعد الوجداني للميتامعرفة من خلال تعريفه لها على أنها " معرفة الفرد عن معرفته وعملياته المعرفية وحالته الوجدانية، وقدرته على التحكم في معرفته وعملياته المعرفية وحالته الوجدانية وتنظيمها[3] .

ويرى (مارزانو، Marzano) أن الميتامعرفة هي " إدراك الشخص لطبيعة تفكيره الذاتي أثناء تأديته لمهمات محددة، وتشتمل على التخطيط قبل الانهماك في العمل، وتنظيم الإنسان لتفكيره في أثناء تأديته للعمل ، ومن ثم تقييم أدائه بإكمال العمل المطلوب.[4]

فوعي الفرد بتفكيره وبالخطة التي يتبعها لحل مهمات التعلم يجعله يقظا لمراقبة وتعديل أو تغيير الخطط المتبعة، ولهذا تتجاوز الميتامعرفية حدود وعي الفرد بعمليات تفكيره إلى مراقبة تقدمه، وتقييم نتاج تفكيره لبلوغ الأفضل في التعلم، أي أن ممارسة الفرد للتفكير الميتامعرفي تتحدد من خلال رؤيته المسبقة لمتطلبات انجاز المهمة وخطواتها، وبناء على ذلك يتمكن الفرد من تقييم مستوى أداءه، أي المسافة التي تفصله عن الهدف.

وذهب (ريدلي، Ridley) إلى القول أن الميتامعرفية تمثل الوعي الذي يساعد على التحكم في التعلم والسيطرة عليه، وتخطيط واختيار الاستراتيجيات، ورصد التقدم في التعليم، وتصحيح الأخطاء، وتحليل فعالية استراتيجيات التعلم، وتغييرها عند الضرورة [5] .

ويرى سلافن (Slavin, 1991) أنها قدرة الفرد على التفكير في عمليات تفكيره، وتحكمه فيها ومراقبته لسلوكيات تعلمه، كي يحدد تجاه أهدافه التعليمية، وكذا مراقبته للاستراتيجيات المطلوبة لإنجاز هذه الأهداف.[6]

وقد صاحب نظرية التعلم الاجتماعي(لباندورا، Bandura) رؤية تقيمية للميتامعرفية على أنها "تقييم معرفي لأنشطة التعلم والتفكير في كفاية التفكير، إذ أن الفرد يراقب التفكير ويقيم كفاياته في قدرته على حل المشكلات التي تواجهه، ويعمل على تصحيح تقييماته بطريقة تؤدي إلى الحل، ومن ثم يعمل على اختيار الاستراتيجيات المناسبة لتحقيق الحلول، إضافة إلى ذلك فانه يستخدم التفكير المنظم ذاتيا ليرشده إلى أعماله الصحيحة."[7] و الميتامعرفية عند ليفين (Leven, 1988) هي معرفة الفرد بمتى ؟ و كيف ؟ و لماذا ؟ يستخدم إستراتيجية محددة، دون غيرها لإنجاز مهمة[8]، أي أن بلوغ الفرد مستوى يستطيع به تفسير مختلف الإجراءات التي يعتمدها في انجاز المهام، يعطي دلالة على قدرة الفرد على التحكم في عمليات الضبط الميتامعرفي للمهام.

وقد وقف "الفرماوي على الدلالة الحقيقية لمصطلح الميتامعرفية، من خلال العودة إلى المعنى الحقيقي له. إذ يرى أن ترجمة مصطلح (Métacognition) بالعربية إلى ما وراء، أو ما بعد المعرفة، أو فوق المعرفة لا تقدم معنى حقيقي للمصطلح، فالعمليات الميتامعرفية هي عمليات تعني في جوهرها الإدارة أي إدارة الفرد لعملياته العقلية وبالتالي فهي تعني العمليات المعرفية التي تتم قبل و بعد و أثناء العمليات العقلية للإنسان فالاحتفاظ بمقطع ميتا (Meta) في الترجمة العربية أكثر دلالة. أما لفظ (Cognition) فلا تعني (Knowledge) معرفة بل معرفية،

للإشارة إلى العمليات المعرفية كالتذكر و الإدراك والانتباه، ومنه يفضل أن نطلق على المصطلح الأجنبي بالعربية ميتامعرفية، و لا يشير الميتامعرفية – حسبه – إلى التفكير في التفكير بل يضم كذلك الميتاذاكرة، الميتاحل المشكلات، الميتاقرائية .....و غيرها [9].

و يرى السيد أبو هاشم (1999) أن الميتامعرفية تعني " وعي الفرد و إدراكه لما يقوم بتعلمه، وقدرته على وضع خطط محددة للوصول إلى أهداف، وكذلك اختيار الاستراتيجيات المناسبة وتعديلها، أو التخلي عنها واختيار إستراتيجية جديدة، بالإضافة إلى تمتعه بدرجة كبيرة من القدرة على مراجعة ذاته وتقييمها.[10]

إذ أن هذا التفكير يسمح للمتعلم بتقييم مدى مناسبة إستراتيجية معينة، والقدرة أيضا على تعديل مسار التعلم بما يناسب أهداف التعلم.

و تأسيسا على مسبق، يمكن تعريف الميتامعرفية على أنها " تمثل ذلك التفكير الواعي واليقظ الذي يمكن المتعلم من التحكم الناجح في سيرورة تعلمه، من خلال الوعي بالهدف المنتظر منه تحقيقه، والمعرفة بالإستراتيجية المناسبة لمعالجة متطلبات المهمة، كما يتضمن القدرة على مراقبة وتقييم فعالية الإستراتيجية، وتعديلها لبلوغ أهداف التعلم".

2- مفهوم فاعلية الذات :Self-efficacy

ظهر مفهوم الفاعلية الذاتية في النظرية المعرفية الاجتماعية على يد (باندورا، Bandura)، ليطرح بعدا انفعاليا يرتبط بالأداء، لا يقل أهمية عن البعد المعرفي الذي يعول عليه في مسالة التعامل مع مواقف التعلم، فهناك من المتعلمين من يمتلك القدرة على التعلم وحده، لكنه يحمل اعتقادات سلبية عن قدرة الذات على معالجة مهمات التعلم بنجاح. فالجانب المعرفي لن يكون كافيا لحدوث التعلم ما لم يكن هناك اعتقاد ايجابي بقدرة الفرد على انجاز مهمات التحصيل. وهذا ما اسماه بالفاعلية الذاتية(11)

ويعرفها باندورا (Bandura, 1997) " على أنها تعبر عن معتقدات شخصية حول امتلاك وسائل التعلم أو الأداء الفعال. أما توقعات النتيجة فتشير إلى المعتقدات عن النتائج الحتمية للأداء ".(12)

فمعتقدات الفرد لها شقين، يتعلق الأول بالوسائل و الإمكانات الضرورية للأداء، والثاني بنتائج الأداء. فاعتقاد الفرد أن له من الإمكانات ما يساعده على ممارسة الأداء بفعالية يعد مدرك ايجابي عن الذات، كما أن اعتقاده بأنه سينجح في الأداء اعتقاد بفعالية ذاته في الأداء. ويرى (باندورا، Bandura)" أن هذه الأحكام التي يصدرها الفرد عن ذاته موضوعية تجاه قدرته على انجاز الأهداف بفعالية(13)

و تنتج هذه الأحكام الموضوعية عن خبراته المتكررة في النجاح، و ثقة و إيمان بقدرته على تحقيق التفوق. وهي عوامل ذات أثر مهم في زيادة حظوظ الفرد في النجاح.

ويتفق مع هذه الرؤية كل من "كلهي و هيسلن" (Klehe & Heslin ,2006) في أنها تمثل معتقدات الفرد وقدرته على أداء العمل أو المهنة بنجاح "(14)

فتصورات الفرد حول إمكانية نجاحه في أداء عمل أو مهنة ما قبل انجازه، يعد عاملا حاسما في التنبؤ بالنتائج الايجابية للأداء.

من جهة أخرى، اعتبرها (سامر ورضوان، 1977) " فرضيات حول إمكانات تحقيق خيارات سلوكية معينة، وبالتالي فهي تشمل الإدراك لحجم القدرات الذاتية من اجل التمكن من تنفيذ سلوك معين بصورة ناجحة، وتؤثر هذه الكفاءة التي يقدرها الفرد نفسه على نوع التصرف المنجز، وعلى الاستهلاك والتحمل عند تنفيذ السلوك(15)

فالإدراك الايجابي لمستوى القدرات الذاتية، و الاعتقاد بالفعالية في الانجاز يشكلان دافعا قويا لتنفيذ السلوك أو تطبيق طرق معينة في الأداء، والاحتفاظ بقدر من

الاستمرارية في مواصلة النشاط حتى مع وجود عوائق في التعلم، مما يزيد من احتمالات أو حظوظ النجاح.

ويشير (باندورا) في تعريفه لمفهوم فاعلية الذات لدى الطالب أنها "تمثل ما يملكه الطالب من معتقدات عن نفسه، فيما يتعلق بقدرته على تنظيم وتنفيذ مجموعة من الأفعال الضرورية، للمحافظة على مستوى معين من الأداء(16)

و على هذا يمكن القول أن فعالية الذات " تعبر عن مدركات الفرد الذاتية حول كفاءة قدراته المعرفية في انجاز سلوك ما، ومعتقدات كفاءة نتائج أداءه " .

3- فاعلية الذات و تمركزاتها كمكون انفعالي ميتامعرفي:

وضع الباحثون العديد من النماذج لمكونات التفكير الميتامعرفي، غير أن البارز في هذه النماذج تلك التي أضافت للعمليات الميتامعرفية البعد الانفعالي، كنموذج بروكوسكي (Brokowskin et al,1989) و(باريس، Paris) الذي اشتمل على فاعلية الذات كإحدى المكونات الوجدانية للحس الميتامعرفي.

حتى أن (فلافل، Flavell) لم يغفل الحديث عن فاعلية الذات في تصنيفه، غير انه اعتبرها خبرة ميتامعرفية، وذلك في إشارة إلى تفكير الفرد في حالته الوجدانية الراهنة على خلاف المحتوى المعلوماتي الميتامعرفي (Metacognitive Knowledge)، الذي يتعلق - حسب نموذجه- بما يعتقده الفرد حول طبيعته كذات معرفية، كان يعتقد الشخص انه يستطيع تعلم معظم الأشياء بالاستماع أحسن من القراءة، ومعرفة كيفية مواجهة متطلبات المهمة، و ماهي الإستراتيجية المناسبة لمعالجة المهمات، والتي يحتمل أن تكون فاعلة في تحقيق أهداف معينة[17].

فالمحتوى المعلوماتي الميتامعرفي الذي يتضمن المعرفة التقريرية، أي معرفة الفرد لذاته و الآخرين كذوات معرفية، وما يتعلق بالمهمة ومتطلباتها، و الإستراتيجية المناسبة لمعالجة مشكلات التعلم و طرق تنفيذها، تمثل تصورات قبلية يمكنها أن تقوي الفاعلية الذاتية وتزيد من الاستثارة الانفعالية، وبالتالي الرفع من مستوى الدافعية للإقبال على التخطيط للمهمة وتنفيذها .

ونظرا لارتباط المحتوى المعرفي أو ما يسمى بالحس المعرفي بالحس الوجداني لتلازمهما في العمليات الميتامعرفية، ذهب باريس و وينوجارد (Paris 1989 , &Winogard) إلى التأكيد على انه من اللازم توسيع عمليات ما وراء المعرفة لتشمل الملامح الانفعالية والدافعية للتفكير في التفكير، على اعتبار أن فاعلية الذات تمثل جانب مهم في المعالجة الميتامعرفية لمهام التعلم، وتشكل جزء من الوعي الميتامعرفي للفرد[18].

وفي ضوء هذا التركيب الذي تتداخل فيه المكونات المعرفية والوجدانية في العمليات الميتامعرفية، لوجود روابط علائقية بين مكونات الميتامعرفية، تتموضع فاعلية الذات كجزء من الحس الميتامعرفي بين متغيرات المعرفة الميتامعرفية وعمليات الضبط التنفيذي (Executive Control). وذلك للدور المهم الذي تؤديه في الربط بين معرفة الفرد عن عملياته المعرفية والتنظيم الذاتي لهذه العمليات باستخدام مهارات مختلفة، بشكل يصعب الفصل فيه بين المكون المعرفي والوجداني في العمليات الميتامعرفية، نتيجة لتأثير العمليات العقلية على الوجدانية و تأثرها بها[19].

ويمكن توضيح تموضع فاعلية الذات، كعملية وسيطية بين المكون المعرفي والعمليات التنفيذية بالترسيمة التالية:

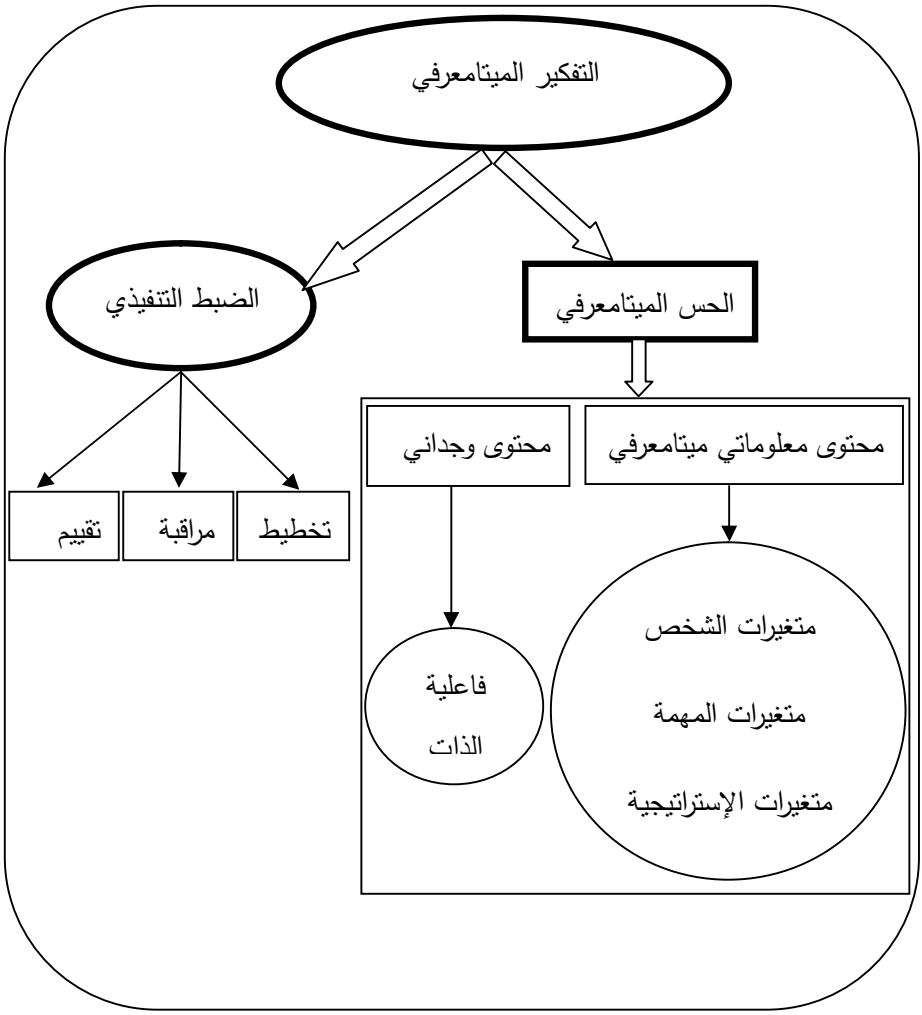

ترسيمة رقم (01) تبين موضع فاعلية الذات في العمليات الميتامعرفية

يظهر لنا – من خلال هذه الترسيمة - تمركز الفاعلية الذاتية كحس ميتامعرفي وجداني بين العمليات الميتامعرفية. وهذا لأن نشاط الفاعلية الذاتية يعتمد على وعي بالمعرفة الميتامعرفية، أي على مدركات قبلية عن الذات والمهمة، وكذا فان

عمليات الضبط التنفيذي للمهمة تتأثر بمعتقدات الفاعلية الذاتية التي تسهم في نجاح أو فشل الإدارة الذاتية للمهمة .

4- الحس الميتامعرفي كضرورة لنشاط فاعلية الذات:

يشكل الوعي الميتامعرفي بالذات المعرفية، أي بمكامن القوة في القدرات المعرفية وأساليب و نوعية المعالجات المطلوب تنفيذها على مهمات الأداء، احد أهم دوافع إقبال المتعلمين على مهمات التعلم، ويدعم هذه الفكرة ما توصلت إليه الدراسات التي بحثت دور الوعي الميتامعرفي في الانجاز واكتساب مهارات التفكير، والأثر الإيجابي لهذا الشكل من التفكير على التعلم. وإذا كان التفكير الميتامعرفي يشكل محدد هام من محددات السلوك المعرفي عند المتعلمين، فان فاعلية الذات تبنى على إدراك عال بمستوى القدرات أو بالأحرى على حس ميتامعرفي بالذات، والاستراتيجيات الملائمة للأداء، ويؤكد هذا (باندورا، Bandura) في قوله " أن فاعلية الذاتية تظهر من خلال الإدراك المعرفي للقدرات الشخصية، والخبرات المتعددة سواء المباشرة أو غير المباشرة[20].

فمعرفة الفرد بذاته وبمواطن قوته، ووعيه بالبدائل المناسبة لحل المشكلات والاستراتيجيات المناسبة للتعامل مع مهمات التعلم، يمكن أن يبني معتقدات الفرد وتوقعاته المسبقة للنجاح في الأداء، إذ أن ثقة الفرد في قدراته ومعرفته بما يناسب مهمات التعلم هي معتقدات بفعالية الوسائل التي يمكن أن تبلور توقعات نتائج الأداء. فالنجاح حسب "باندورا " لا يتطلب مهارات فنية فحسب، وإنما يحتاج إلى إيمان أكيد بالمقدرة الذاتية على التحكم بالأحداث للوصول إلى الأهداف المنشودة[21].

والمتعلم الذي يمتلك وعي ميتامعرفي يمكنه أن يحدد مسبقا وقبل البدء في انجاز مهام التعلم، نوع التفكير المناسب لوضعية التعلم والإجراءات المختلفة التي تمكنه من الوصول إلى أهدافه، وهذا ما جعل الكثير من الباحثين يعزون نجاح

المتعلم إلى معتقدات الكفاءة الذاتية لديه، والمرتبطة بوعي المتعلم بسبل تحقيق الهدف .

ويدعم هذه الفكرة ما توصل إليه "جورجي" (Gourgey ,2001) من أن نمو الميتامعرفية لا يفيد فقط في تحصيل الطلاب، ولكن أيضا في كفاءتهم الذاتية، حيث انه يزودهم بالأدوات التي يعتمدون عليها في اكتشاف عقلية جديدة [22] .

ففاعلية الذات تبنى من خلال معلومات مفصلة عن كيفية اختيار واستخدام إستراتيجية معينة، وعن إجراءات الضبط الذاتي، ومن خلال استبصار الفرد عن أهمية الجهد في التعلم الناجح [23] .

فالوعي بالذات المعرفية أي بما تملكه من قدرات معرفية يمكن أن يستخدمها في الأداء بشكل ناجح، والمدرجة تحت ما يسمى بالمعرفة التقريرية، وما يستلزمه الأداء من استراتيجيات يراها مناسبة أو فعالة في حل مشكلات التعلم، ومعالجة مطالبه قد يعزز ثقة المتعلم بذاته ويرفع من توقعات النجاح لديه. وعلى العكس من ذلك فان توقعات الفرد للفشل في الأداء، وعدم القدرة على مواجهة صعوبة المهام يمكن أن يفسر بضعف في الوعي الميتامعرفي، فالطالب ذو القدرات المتوسطة يمكن أن ينجز بنفس مستوى الطالب ذو القدرة العالية، إذا ما تم تعليمه وتدريبه على أن يدرك كيف يتعلم ويفهم خطوات تعلمه وان يتدرب على التفسير العقلاني لمسببات النجاح والفشل.

ومن ثم فان الوعي الميتامعرفي يؤدي بشكل أو بأخر إلى التقليل من إدراك العجز، من منطلق انه يسهم في الارتقاء إلى مستويات متقدمة من التفكير والتحكم في هذا التفكير، ومساعدتهم على القيام بدور ايجابي في جمع المعلومات وتنظيمها، و تقييمها أثناء قيامهم بعملية التعلم[24].

و يرى" قيست و ميتشال" (Gist & Mitchelle, 1992) أن النجاح يرفع من توقعات الفاعلية، بينما الإخفاق المتكرر يخفضها[25].

ويشكل هذا النجاح عزوا ايجابيا يقرن لدى المتعلم بأهمية القدرة والجهد الذي بذله، وبالتالي يرفع مستوى الوعي الميتامعرفي درجة الفاعلية الذاتية الايجابية، طالما أن عوامل النجاح مرتبطة بوعي بالقدرات الذاتية وليس بعوامل خارجية كالحظ أو الآخرين.

5. دور فعالية الذات في نجاح العمليات التنفيذية الميتامعرفية :

ترتكز العمليات التنفيذية الميتامعرفية(Executive Control)، أو الإدارة الذاتية للمعرفة على حس ميتامعرفي بالذات المعرفية وبالمهمة، فالتخطيط للإستراتيجية والأهداف يعتمد على المعرفة التقريرية والإجرائية، أي على معرفة بالإستراتيجية المناسبة، والإجراءات التي نعتمدها في السير نحو تنفيذ متطلباتها وبلوغ أهداف التعلم كما أن مراقبة الأداء وتقييمه كعمليات تنفيذية يقوم على وعي بمدى ملائمة الإستراتيجية المعتمدة لمتطلبات الأداء، وحاجتنا إلى تغييرها واعتماد إستراتيجية نرى أنها أكثر فعالية في الأداء.

وإذا كان الحس المعلوماتي الميتامعرفي ضروري للقيام بعمليات الضبط التنفيذي للأداء، فان الحس الميتامعرفي الانفعالي لا يقل أهمية عنه، بل أن "فلافل و لمان" (Flavell &Walman, 1977) ذهبا إلى اعتبار وجود الحس الميتامعرفي لدى فرد ما ومعرفته عن عملياته المعرفية لا يؤدي بالضرورة لان يقوم الفرد بالتنظيم الذاتي لهذه العمليات، كما لا يؤدي بالضرورة للأداء المعرفي الجيد. ويعزي الفرماوي ذلك إلى إهمال دور فاعلية الذات كجانب حسي ميتامعرفي انفعالي واللازمة للربط بين الحس الميتامعرفي ومهارات التنظيم الذاتي، فالعمليات التنفيذية الميتامعرفية بما تتضمنه من تخطيط ومراقبة وتقويم، تقوم حسب بروكوسكي (Brokousky, 1989) بواسطة العزو وفاعلية الذات بتوجيه الفرد إلى صنع قرارات حول اختيار واستخدام الاستراتيجيات الملائمة لأي مهمة[26].

فهذه العمليات تحركها عوامل دافعية، تلعب فاعلية الذات فيها دورا يوازي دور الوعي الميتامعرفي المعلوماتي في الربط بينه وبين عمليات الأداء

التنفيذي الميتامعرفي. وتقوم هذه العمليات بواسطة فعالية الذات بتوجيه الفرد إلى صنع قرارات حول اختيار واستخدام الاستراتيجيات المناسبة[27].

ذلك أن فعالية الذات كحالة انفعالية لها في الأغلب اثر على العمليات التنفيذية الميتامعرفية أي على مبادأة المتعلم، وإقباله على تنفيذ الأداء معتقدا بفعالية الذات في الانجاز. وتُبنى هذه المعتقدات على تصورات ايجابية للقدرات المعرفية، ووسائل التعلم الموصلة للهدف، و تصورات ترتبط بمعرفة قبلية عن كيفية تطبيق الإستراتيجية والصعوبات المحتمل مواجهتها في الأداء ووعي بوسائل التعلم، وأدواته، مما يشكل حافزا قويا للإقبال على مهام التعلم، والتخطيط لها ومقاومة عوائقها أثناء التنفيذ.

غير أن هذه المعتقدات تعد غير كافية لتوقع النجاح، خاصة وان التوقعات الايجابية لنتائج الأداء تعززها خبرات النجاح المتكررة، و ثقة الفرد في مقدرته على معالجة متطلبات المهمة، وتجاوز صعوباتها مما يكسب المتعلم تصورا ايجابيا عن ذاته وعن قدراته.

وقد وقف " باندورا، 1996 " على المفارقة الاجتماعية التي تجزم بدور الثقة في الذات و القدرات على خوض تجارب التعلم والنجاح فيها، بقوله: " انه يمكن للفرد أن يكون على دراية صحيحة بما يجب عليه فعله، غير انه قد يفشل أثناء التنفيذ لأنه يدرك ذاته كذات غير قادرة على تحقيق التفوق[28].

ومن هنا فان الحس الميتامعرفي المعلوماتي وان كان يدعم الفاعلية الذاتية ويرفع من درجتها، إلا أن الشعور بإمكانية تحقيق أهداف التعلم والتفوق فيها كحس انفعالي وجداني يحكم معالجتنا أو إدارتنا الذاتية للمعرفة، التي تتضمن عمليات التخطيط للأنشطة واختيار الإستراتيجية المناسبة للمهمة، والمراقبة التي يتم فيها الوقوف على مدى ملائمة الإستراتيجية للأهداف المرحلية، و التأكد من مستوى التقدم المحرز باتجاه الهدف، وذلك لغرض مراجعة الخطط والعمل على تصحيح مسار التعلم. أما التقييم فيتم التأكد من مدى تحقق الهدف المنشود.

وإذا نظرنا إلى مسألة التخطيط كخطوة أولى في العمل التنفيذي الميتامعرفي، فإنها تتضمن عملية اختيار قصدي للاستراتيجيات التي تحقق أهدافا محددة، تعتمد على المعرفة التقريرية والشرطية[29].

وحس انفعالي ميتامعرفي يستدخل ضمن التخطيط لهذه الخطوة. وتمثل فاعلية الذات أهم عناصره، إذ أنها تدفع المتعلم إلى وضع الخطط الأولى لعمليات الضبط التنفيذي، والإقبال على انجاز الإستراتيجية دون تردد أو خوف من مواجهة عوائق في تطبيقها. ويؤكد هذه الفكرة ما ذهب إليه "باندورا" من أن الطلاب الذين يحملون معتقدات ايجابية عن فاعليتهم الذاتية الأكاديمية للقيام بأي مهمة تعليمية، يستخدمون استراتيجيات ميتامعرفية، أكثر من الطلاب الذين يحملون معتقدات غير ايجابية[30].

كما يؤكد كل من "برات سالا و ريدفورد" (Prat Sala &Redford, 2010) أن الشعور بفعالية الذات يحفز الطلاب على الاحتفاظ بإنجاز أهداف معينة، حتى في حضور العوائق وتقودهم إلى الاستعمال الاستراتيجي لكل القدرات. ويدعم هذا الرأي ما توصل إليه " لوك و لاثام " (Locke & Latham) في انه عندما تكون اعتقادات فعالية الذات قوية، يعمد الطلاب لاختيار تحدي الأهداف التعليمية، ويحاولون انجازها بجهود عظيمة[31].

أما فيما يتعلق بالمراقبة الذاتية (Self-monitoring) التي يقوم بها المتعلم لتقدير حالته من التقدم نسبيا في ضوء الأهداف، أي مراقبة مدى تقدمه في انجاز المهام المعرفية[32] والتدخل لتعديل الإستراتيجية في حالة مواجهة صعوبة التقدم في المهمة، فإنها تمثل نوعا من الوعي الميتامعرفي في مراقبة التعلم، يدعمه شعور بفعالية الذات وقدرة على الاحتفاظ بنفس الدافعية لمواصلة الانجاز. ولهذا يرى " باندورا " أن الأشخاص الذين لديهم إحساس منخفض بفعالية الذات يبتعدون عن المهام الصعبة، ويتجهون نحو إدراكها كتهديدات شخصية، ويعزون إخفاقهم إلى نقص قدراتهم[33].

فالفاعلية الذاتية تساعد على المراقبة والتقييم الذاتي لما تم انجازه، انطلاقا من وعي بالهدف والإستراتيجية. ويؤكد في هذا الصدد زيمرمان وآخرون (1990 Zimmerman) أن الزيادة النمائية في استخدام التلاميذ لإستراتيجية التنظيم الذاتي، يعزى إلى الزيادة النمائية في الكفاءة الذاتية[34].

فالطالب الأكثر ثقة يميل إلى مراقبة وقت التعلم بصورة أكثر فعالية، ويكون أكثر إصرارا على مواجهة التحديات التعليمية، ويتجاوز العوائق التي تعترض طريقه بصورة اكبر. وكلما ارتفعت الفاعلية الذاتية زادت دقة التقويم الذاتي للنتائج[35].

كما يعد التقويم الذاتي(Self -Evaluation) خطوة مهمة ونهائية في الإدارة الذاتية للمهمة، إذ انه يقوم على قياس مدى فعالية الإستراتيجية في تحقيق أهداف التعلم، و يبنى على معتقدات الفرد الذاتية في قدرته على تطبيق الإستراتيجية، وتقويمها وفهم عميق لها ولنتائج تطبيقها.

ونعتقد أن التقويم الذاتي لنجاح إدارة عمليتي التخطيط والمراقبة الذاتية يوفر تغذية راجعة، يمكن أن تدعم التصورات الايجابية عن فاعلية الذات، وتدفع المتعلم إلى الإقبال على خبرات التعلم الجديدة و إدارتها ميتامعرفيا بالشكل الناجح. ويمكن تمثيل هذه الرؤية بالترسيمة التالية :

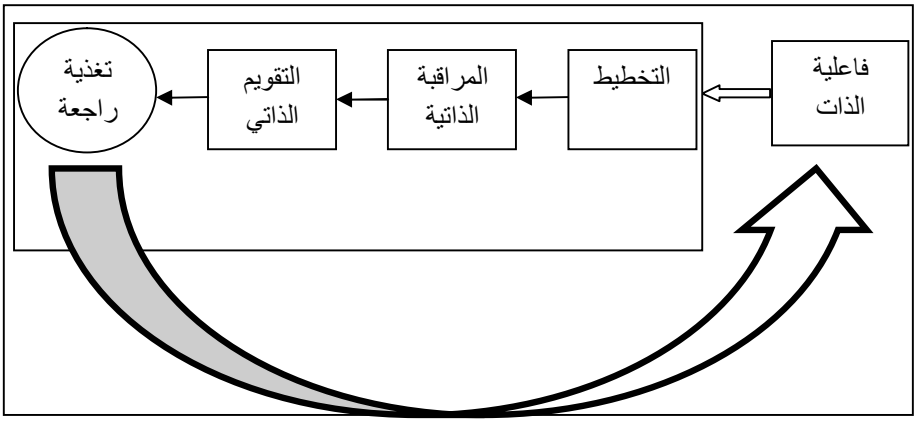

ترسيمة رقم (02) توضح أوجه التفاعل بين عمليات الضبط التنفيذي والفاعلية الذاتية

خاتمة :

إن بحث فاعلية الذات كعملية ميتامعرفية انفعالية داخل ما يسمى بالتفكير الميتامعرفي، يستوقفنا عند نتيجة مؤداها أن المحتوى المعلوماتي الميتامعرفي ورغم أهميته كجانب معرفي في عمليات الضبط التنفيذي لمهام التعلم، إلا أن ضعف مستوى الفاعلية الذاتية قد يكون سببا في فشل هذه العمليات. ويعبر هذه الارتباط بين هذه العمليات عن علاقة متعدية في العمليات الميتامعرفية، تدعونا إلى ضرورة التفكير في تصميم وضعيات التعلم بالشكل الذي يساعد التلاميذ على ممارسة هذا النوع من التفكير، وتبني استراتيجيات في التدريس قائمة على تنشيط الوعي الميتامعرفي، خاصة وأن نجاح عمليات الإدارة الذاتية لمهام التعلم يتوقف على حس ميتامعرفي وجداني، أي على معرفة ميتامعرفية، وعلى توقعات ايجابية عن الفاعلية الذاتية.

❖ **هوامش البحث**

(1) حمدي الفرماوي، وليد رضوان، **الميتامعرفية**، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة، 2004 ، ص 39.

(2) Eleonora Papaleontiou-Louca - **Metacognition and Theory of Mind- Cambridge Scholars Publishing** - Angerton Gardens, Newcastle, UK- 2008-First published – p:02

http://www.c-s-p.org/flyers/9781847185785-sample.pdf

(Quotation in : 28-09-2013)

(3) سامية الأنصاري، حلمي الفيل، **ما وراء معرفة الذكاء الوجداني**، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 2009، ص35.

(4) صالح محمد أبو جادو و محمد بكر نوفل، **تعليم التفكير**، دار المسيرة، الأردن، 2007، ص 344.

(5)Bokyeong Kim &Not just fun- but serious strategies: **Using meta-cognitive strategies in game-based learning – The Journal of Computers & Education** - Elsevier Science Ltd- Oxford . UK –Vol 52-2009 – P: 801

http://www.surfnet.nl/nl/nieuws/pers/Documents/rapport%20gaming.PDF

(Quotation in : 28-09-2013)

(6) حمدي الفرماوي، وليد رضوان ، مرجع سبق ذكره، ص40 .

(7) صالح محمد ابو جادو و محمد بكر نوفل، مرجع سبق ذكره، ص 344 .

(8) سليمان عبد الواحد يوسف، **الفروق الفردية في العمليات العقلية المعرفية** ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن ، 2011، ص 342.

(9) حمدي الفرماوي، وليد رضوان ، مرجع سبق ذكره ، ص35 .

(10) إيهاب عيسى عبد الرحمن المصرى، **برنامج مهارات التفكير في التفكير،** دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، 2010، ص18.

(11) فخري عبد الهادي، علم النفس المعرفي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ،الأردن، 2010، ص 68 .

(12) وليد السيد احمد خليفة مراد علي عيسى سعد، **التفكير في التفكير**، دار الوفاء لدنيا الطباعة النشر، الإسكندرية ، 2010 ،ص173.

(13) حمدي الفرماوي، وليد رضوان ، مرجع سبق ذكره ، ص59 .

(14) ماهر شعبان عبد الباري، **سيكولوجية القراءة وتطبيقاتها التربوية**، دار المسيرة ، الأردن، 2010 ،ص173.

(15)ماهر شعبان عبد الباري ، مرجع سبق ذكره، ص 172.

(16) فخري عبد الهادي ، مرجع سبق ذكره،ص69 .

(17) Eleonora Papaleontiou - Louca - **Metacognition and Theory of Mind** - (Former Reference) - P:13

(18) ماهر شعبان عبد الباري ، مرجع سبق ذكره ، ص 248.

(19) حمدي الفرماوي ، وليد رضوان ، مرجع سبق ذكره، ص48.

(20) غالب بن محمد علي المشيخي، **قلق المستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوى الطموح**، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2009، ص60.

http://libback.uqu.edu.sa/hipres/FUTXT/7430.pdf

(تم الاقتباس من الموقع بتاريخ : 28-09-2013)

(21) هدى الخلايلة، **الفاعلية الذاتية لمعلمي مدارس محافظة الزرقاء ومعلماتها في ضوء بعض المتغيرات**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، العلوم الإنسانية، نابلس، فلسطين، مجلد 25-2011 ، ص 03 .

http://scholar.najah.edu/sites/default/files/journal-article/self-efficacy-teachers-zarqa-governorate-light-some-variables.pdf

(تم الاقتباس من الموقع بتاريخ: 22-09-2013)

(22) فاطمة بنت رمزي احمد المدني، **ما وراء المعرفة وعلاقته بفعالية الذات والتحصيل**، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس التربوي، كلية التربية والعلوم الإنسانية ، قسم علم النفس التربوي ، المملكة العربية السعودية، 2007، ص70.

(23) حمدي الفرماوي ، وليد رضوان ، مرجع سبق ذكره، ص48.

(24) أحلام الباز حسن، الفرحاتي السيد محمود، **المنتج التعليمي**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2007، ص 202 .

(25) كمال احمد الإمام النشاوى، **فعالية الذات وعلاقتها ببعض سمات الشخصية لدى طلاب كلية التربية النوعية**، المؤتمر التعليم النوعي ودوره في التنمية البشرية في عصر العولمة ، جامعة المنصورة- 12- 13 أفريل 2006، ص 474.

http://www1.mans.edu.eg/facse/arabic/moktamar/first/14.pdf

(تم الاقتباس من الموقع بتاريخ: 27-09-2013)

(26) حمدي الفرماوي، وليد رضوان، مرجع سبق ذكره،ص 59.

(27) سليمان عبد الواحد يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 349 .

(28) برتراند، **النظريات التربوية المعاصرة** ،ترجمة محمد بوعلاق، قصر الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر،2001 ، ص133.

(29) حمدي الفرماوي ، وليد رضوان ، مرجع سبق ذكره، ص56 .

(30) فخري عبد الهادي، مرجع سبق ذكره، ص 79 .

(31) Rosa Cera et al – Relationships between Metacognition self-efficacy and self-regulation – The Journal of educational cultural and psychological studies - Research Laboratory on Didactics and Evaluation-Department of Education Roma Tre " University – Vol 07. 2013- p:18

http://www.ledonline.it/ECPs-Journal/allegati/ECPS-2013-7_Cera.pdf

(Quotation in : 28-09-2013).

(32) حمدي الفرماوي، وليد رضوان ، مرجع سبق ذكره، ص45

(33) فاطمة بنت رمزي احمد المدني، مرجع سبق ذكره، ص 59.

(34) وليد السيد احمد خليفة مراد علي عيسى سعد، مرجع سبق ذكره ص:161.

(35) فخري عبد الهادي، مرجع سبق ذكره، ص 79 .